أولا:تعريف المدرسة الحديثية :إنّ مصطلح "المدرسة"مما استحدث في الإسلام ولم يكن في عصر الصحابة ولا التابعين مستعملا ولا متداولا ، وقد عبروا عنه بمختلف المصطلحات، نذكر منها ما يلي :

1- إطلاق المصطلح على الاتجاه أو الرّأي فقد عبروا عنه بالمذهب ومن ذلك ما قاله الإمام علي بن المديني – رحمه الله – " لم يكن في أصحاب رسول الله من له صحبة يذهبون مذهبه ويفتون بفتواه ويسلكون طريقته إلا ثلاثة عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس.

2-إطلاق المصطلح على الجماعة التي اهتمت برواية الحديث أو بالتّفسير، فقد عبّروا عنها بالطّبقة كما ذكر ذلك الزّرقاني – رحمه الله- في تقسيمه لطبقات المفسرين فقال:" طبقة أهل مكة وطبقة أهل المدينة وطبقة أهل العراق ، ثمّ بدأ يفصّل بذكر الشّيوخ من الصّحابة والتّلاميذ من التّابعين.

3- إطلاقه على البناء فقد قال المقريزي – رحمه الله – "والمدارس ممّا حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف في زمن الصّحابة ولا التّابعين، وإنّما حدث عملها بعد الأربعمائة من الهجرة، وأوّل من حفظ عنه أنّه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور" .

وقد عرفت المدرسة الحديثية بتعريفات منها:

أحدها: مدرسة الحديث هي: الشّيوخ والتّلاميذ، والمنهج الذي يسيرون عليه .

الثاني : إنّ لفظ المدرسة يطلق على معنيين:

أ- اسم مكان من الفعل" درس"،أي المكان الذي يحصل فيه الدّرس والتّعليم.

ب- ثمّ تطور لفظ المدرسة فأطلق على جماعة بينها آراء مشتركة، بغض النّظر عن زمان أو مكان محددين. .

وعلى ما سبق فقد عرّفت المدرسة الحديثية بأنها: (جماعة من الرّواة والمحدّثين بينهم خصائص مشتركة؛ تتعلّق بوسائل تبليغ الحديث وصيانته،" رواية ودراية" دون النّظر إلى زمان أو مكان) .

وبالنّظر إلى التّعريفات السّابقة نجد بعضها أشارت إلى بعض الجوانب، وأغفلت الآخر،ويمكن القول بأن أشمل تعريف: **للمدرسة الحديثيَّة:** بأنها: (جماعة من الرّواة والمحدّثين بينهم خصائص مشتركة؛ تتعلّق بوسائل تبليغ الحديث وصيانته -رواية ودراية- زمانيًّا ومكانيًّا).

ثانيا: أقسام دراسة المدرسة الحديثية.تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة :

القسم الأولى : دراسات تناولت مدرسة الحديث في بلد معين:ومثال ذلك:مدرسة الحديث في البصرة للدّكتور أمين القضاة ومدرسة الحديث في الكوفة للدكتور شرف القضاة ،ومدرسة الحديث في القيروان للحسين بن محمّد شواط، ومدرسة الحديث في بلاد الشّام للدكتور محمد بن عزوز ومدرسة الحديث في مصر للدكتور محمّد رشاد خليفة، ثمّ قال ومدرسة الحديث في الأندلس لشيخنا الأستاذ الدكتور مصطفى حميداتو وللدكتور صالح أحمد رضا كذلك وقال إنّه لم يطلع عليها.

ومن الملاحظ أن هذه الدراسات ركّزت بصورة عامّة على منهج هذه المدارس،والشّيوخ،والتّلاميذ فيها،وجهودهم في الحديث وخصائصها، وأبرز الانتقادات الموجهة إليها إن وُجدت.

القسم الثّاني:دراسات تدور حول عَلَم من أعلام الحديث المشهورين في بلد معين، حيث تبحث في محدّث مشهور وشيوخه وتلاميذه، ومكانته، وجهوده العلميّة، ورواياته، ومصطلحاته الخاصّة، ومن الدراسات الموجودة في هذا المجال: مدرسة الإمام البخاري في المغرب ليوسف الكتاني وقد ذكر المؤلف عددًا من المراكز الحديثيّة المختصة بصحيح البخاري منها: دار الحديث الحسنية والرّباطات، والزّوايا، كالزّاوية الدّلانية وأهم ما يمكن أن يدخل في هذا الاتجاه في التّصنيف مدارس الصّحابة، مثل: مدرسة ابن عمر،ومدرسة السّيدة عائشة، ومدرسة أبي هريرة، ومدرسة جابر بن عبد الله، وغيره من الصّحابة...وهكذا في جميع الأمصار.ويلحق بهذا النوع مدارس الحديث والتي يقصد بها دور الحديث التي تدرّس الحديث ومثال ذلك: المدرسة النّورية والنّاصرية وغيرها والمدرسة الأشرفيّة بدمشق :للمهندس محمّد بدر الدّين الحسيني وكرسيّ الحديث وفهرست المحدّث أحمد الفاسي: للدكتور محمد بن عزوز . وعلى الباحث ان يحدد أي الأقسام والأنواع سوف يبحث في دراسته.

ومن الجدير بالذكر أن المواضيع المدروسة في مادة المدارس الحديثية:

أ-الخصائص والمميزات لهذه المدرسة.

ب-بدايات تشكل المدرسة في عهد الصحابة، في عهد التابعين وهكذا.

ج-النظر في أقوال العلماء في علوم الحديث ونسبته إلى المدارس الحديثة.

ثالثا:أسس دراسة المدارس الحديثية (العوامل المشتركة في دراسة مدرسة معينة):

الأساس الأول: تحديد نوع الدراسة: نوع المواطن واعتبار الأعلام.

باعتبار المواطن: يتكلم عن كيف دخل الحديث لتلك المنطقة الشهر الذين أدخلوا الحديث، وباعتبار الأعلام: مثلا البخاري إنتاجه في علم الحديث وكل ماله علاقة بالإمام البخاري.

الأساس الثاني: تحديد عصر الدراسة لأن العصر لا شك أن له تأثر بعوامل (من جهة ازدهار العلم وحقوقه)، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية.

الأساس الثالث: بيان الضابط في اعتبار الراوي من المدرسة وهو الأثر (مروياته، والتلاميذ) وهذا ضابط أغلبي لأنهم لم يبقوا في مكان واحد بل رحلوا إلى العديد من البلدان.

الأساس الرابع: إبراز نشأة المدرسة، أثر الصحابة فيها: لأن الصحابة هم الذين أسسوا المدارس الحديثية فتتحدث عن الصحابة الذين كان لهم أثر في رواية حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهم كثر حيث قال ابن القيم في إعلام الموقعين (والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود وأصحاب زيد بن ثابت) . فقد ذكرهم ابن القيم على سبيل التمثيل والذين أكثروا من الرواية.

الأساس الخامس: التركيز على مدارات الحديث في كلّ مدرسة ومعرفة أصحاب المدار.

1- الفرق بين المخرج والمدار.المخرج: هو أو من خرج عند الحديث (الصحابة).المدار: هو أول من تفرع عنه الحديث.

2-ما العلاقة بين معرفة المدار والمدارس الحديثية؟ لأن عندما تؤرخ لحركة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك أننا سنتكلم عن الشيوخ والتلاميذ فيقدر أن يكون أحدهم من المدارات أو من المخرج.

3- المدارات تتوقف عند أصحابها ومعرفة المدارات من خلالها نستطيع أن تحكم عن الأحاديث تبعا لمعرفة الطبقات وأصحاب المدارات.

4- لقد قلنا سابقا بأن تعريف المدرسة الحديثية باعتبار الشيوخ والتلاميذ، ولكن نستطيع أن نقول حتى لشخص واحد يشكل مدرسة لوحده مثلا كمدرسة مالك في الحديث فنركز على جهوده في خدمة الحديث.ونضيف له اعتبار آخر ألا وهو الإكثار من الرواية وذلك من كثرة شيوخه وضبط روايته وحفظه والرحلة.

الأساس السادس: البحث في خصائص كل مدرسة حديثية: فلم يختلفوا في كل الخصائص بل تقريبا نفسها، ولها نفس الشروط ولكن اختلفوا في تنزيل هذه الشروط على الرواية فلها خصائص مشتركة ولها خصائص أخرى تميزت بها عن غيرها، فمثلا مدرسة المدنية تميزت بقوة الإسناد. وتعرف هذه الخصائص من خلال الاستقراء وتكون صعبة خاصة إذا لم ينص العلماء على هذه الخصائص وتجدها متفرقة في كتب التاريخ وكتب الطبقات وكتب النقد.

الأساس السّابع: التحقيق في الأحكام والتّعميمات على بعض المدارس.فمثلا علة التدليس والوضع قليل في مكة والمدينة ونسبة التدليس لأهل البصرة فهذا ليس على إطلاقه ، والقول:أهل الكوفة أكثرهم وضعا والبصرة أكثرهم تدليسا هذا بالنسبة إلى مدرسة مكة والمدينة.

ثالثا:بيان أهمية دراسة المدارس الحديثية :

1- التمييز بين الرواة المتفقة أسماؤهم :

قال ابن المديني: "ثنا حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: سالم بن أبي الجعد وعبيد بن أبي الجعد وزياد بن أبي الجعد إخوة، وإبراهيم بن أبي الجعد أخر روى عنه أخو حكام بن إبراهيم الرازي، وقال يحي: الربيع بن حبيب وعائذ بن حبيب أخوان وهما ثقتان من أهل الكوفة يقال لهما بني الملاح، والربيع بن حبيب آخر بصري يحدث عن ابن سيرين والحسن، وقال يحي: كثير بن جمهان كوفي روى عنه عطله، وسعيد بن جمهان بصري".

وقد اعتبر التعرف على شيوخ البلد ورواياتهم من أول ما تجب معرفته على طالب الحديث في ذلك البلد، فهذا صالح بن أحمد التميمي الحافظ" ت384هـ" مؤلف طبقات الهمذانيين يقول "ينبغي لطالب الحديث ومن عني به أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله، وتفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه من سقيمه، ويعرف أهل التحديث به وأحوالهم معرفة تامة، إذا كان في بلده علم وعلماء قديما وحديثا، ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه ."

ومن دقيق هذا العلم معرفة قوم من المحدثين تغربوا عن أوطانهم إلى بلاد شاسعة وطال مكثهم به فنسبوا إليها، ومنهم الربيع بن أنس بصري من التابعين سكن مرو فنسب إليها وقد ذكره المراوزة في تواريخهم، وعيسى بن ماهان أبو جعفر الرازي كوفي نزل الري ومات بها فنسب إليها، ويوسف ابن عدي كوفي ورواياته كلها عن الكوفيين سكن مصر فغلب عليه الاشتهار بأهلها وليس له عنهم سماع، وهذا مثال يكثر وبالقليل منه يستدل على كثيره من رزق الفهم .

2-الحضور القوي للمدارس الحديثية في كتب الحديث :

كما أن للمدارس الحديثية حضور قوي في كتب الحديث، ولنمثل بصنيع البخاري في صحيحه، حيث بدأه بحديث المكيين ثم المدنيين ثم المصريين ثم البصريين ثم أهل الري ثم أهل الشام، هذا في بدء الوحي، ثم رجع إلى المكيين في بداية كتاب الإيمان . بدأ البخاري صحيحه (1 /6) بحديث المكيين بقوله :

1-حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير،قال :حدثنا سفيان،قال: حدثنا يحي بن سعيد الأنصاري، قال :أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي، يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال :سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول» :إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه...)

ثم أعقبه البخاري بالحديث الثاني في صحيحه (**1 /6**) وهو من أحاديث المدنيين قال :

2-حدثنا عبد الله بن يوسف، قال :أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا.... فيكلمني فأعي ما يقول) قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا)يقول ابن حجر في فتح الباري :(1 /10)"كان البخاري امتثل قوله صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا فافتتح كتابه بالرواية عن الحميدي لكونه أفقه قرشي أخذ عنه وله مناسبة أخرى لأنه مكي كشيخه فناسب أن يذكر في أول ترجمة بدء الوحي لأن ابتداءه كان بمكة، ومن ثم ثنى بالرواية عن مالك لأنه شيخ أهل المدينة وهي تالية لمكة في نزول الوحي وفي جميع الفضل، ومالك وابن عيينة قرينان، قال الشافعي: لولاهما لذهب العلم من الحجاز"

ثم تلاه البخاري بالحديث الثالث في صحيحه:(7/1)وهو من أحاديث المصريين، قال:

3 -حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير،عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: »ما أنا بقارئ) ... الحديث .وهكذا صنع الإمام البخاري في صحيحه مع أحاديث المدارس الحديثية الأخرى.

رابعا:نشأة المدارس الحديثية :

إنّ أوّل من اضطلع بحفظ السنّة النبويّة وخدمَتِها ونشرها بين الأمّة هم صحابة رسول الله ورضي الله عنهم أجمعين، وذلك في القرن الأوّل الهجري، ثمّ جاء مَن بَعدهم من التّابعين وأتباعهم في القرن الثّاني، وقد انتظم جهودُ هؤلاء الثّلاثة في مَدرسة الحديث بمكّة والمدينة، وهي مَدرسةٌ احتضنت كبارَ العلماء وجهابذَةَ النّقّاد وفطاحلَ الفقهاء والمفتين الّذين تركوا آثارهم واضحة جليَّةً في العلوم الإسلاميّة بعامَّةٍ، وعلوم السنّة النبويّة بخاصَّةٍ، فأصبحت جهودُهم مناراً للهدى يُقتفى ، وشعاراً للحقّ يُتَّبَع.فلذلك عُرف هذان البلدان وغيرُهما من البلاد الّتي سكنها أصحابُ رسول الله بصفاء العقيدة، والبقاء على

أصول الدِّين الصَّحيحة، والتّمسّك الظّاهر بسنّة النّبي .يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (فأمّا الأَعْصارُ الثّلاثةُ المفضَّلة فلم يَكن فيها بالمدينةِ بدعةٌ ظاهرةٌ الْبَتَّةَ، ولا خَرَج منها بدعةٌ في أصول الدِّين اَلْبَتَّة، كما خَرَج في سائر الأمْصَار، فإنّ الأمصارَ الكبار الَّتي سكنها أصحابُ رسول الله وَخَرج منها العلمُ والإيمانُ خمسة : الحرمَان، العراقَان والشّام ؛ منها خَرج القرآن والحديثُ والفقهُ والعبادةُ وما يَتْبَع ذلك من أمور الإسلام).والقرنَان الأوّل والثّاني يُعدَّان فترةَ ازدهارِ العلم بمكّة والمدينة ـ شَرّفهما الله تعالى ـ كما قال الحافظ الذّهبي ـ رحمه الله ـ في كتابه الماتِع ((الأمصار ذوات الآثار)): (المدينةُ المشرَّفةُ دارُ الهجرة، كان العلمُ وافراً بها في زمن الصَّحابة من القرآن والسّنن، وفي زمن التّابعين كالفقهاء السَّبْعة، وزمن صِغار التَّابعين كزيد بن أسلم، ورَبيعة الرَّأْي، ويحيى بن سعيد، وأبِي الزِّناد، ثُمّ في زمن تَابعي التَّابعين؛ كَعُبَيد الله بن عُمر، وابنِ أبي ذِئب، وابنِ عَجْلان، وجَعفر الصَّادق، ثمّ الإمام مالك ، ومُقرئها الإمام نافع، وإبراهيم بن سَعد ، وسليمانَ بنِ بلال، وإسماعيلَ بْنِ جعفر، ثمّ تناقص العلمُ بها جداً في الطبقة الّتي بَعدهم، ثمّ تلاشي).ثم تحدَّث عن مكة قائلاً : ((كان العلمُ بها يسيراً في زمن الصّحابة، ثمّ كَثُر في أواخر عَصْر الصَّحابة، وكذلك في أيّام التّابعين كمجاهدٍ، وعطاءِ بن أبي رَباح، وسعيد بن جُبير ، وابنِ أبي مُلَيْكة، وزمنِ أصحابهم، كعبد الله بن أبي نَجيح، وابن كثير المقرئ، وحنظلةَ بن أبي سفيان، وابنِ جُريج ونحوهم، وفي زمن الرّشِيد، كمسلم بن خالد الزّنجي، والفُضيل بن عياض، وابن عُيينة، ثمّ أبي عبد الرّحمن المقرئ، والأَزْرَقي، والْحُميدي، وسعيد بن منصور.ثمّ في أثناء المئة الثّالثة تناقص علمُ الحرَمَيْن وكَثُر بِغيرهما)).

وقد كان أهلُ الحجاز أَعْنَى بالعلم ودراستِه من غيرهم في تلك الفترة، وكان لَهم تأثيرٌ ظاهرٌ في كثير من الأمصار الإسلاميّة، ((حَتّى رُوي أنّ أبا جعفر المنصور قال لمالك أو غيره من أهل المدينةِ : نظرتُ في هذا الأمر فَوجدتُ أهلَ العراق أهلَ كَذِبٍ وتدليسٍ ـ أو نحو ذلك ـ ووجدتُ أهلَ الشَّامِ إنّما هم أهلُ غزوٍ وجهادٍ، ووجدتُ هذا الأمرَ فيكم. ويقال : إنّه قال لمالك : أنتَ أعلمُ أهلِ الحجاز، أو كما قال.وَطَلب أبو جعفر المنصور علماءَ الحجاز أن يَذهبوا إلى العراق، ويَنشروا العلم فيه، فَقَدِم عليهم هشامُ بن عروة ، ومحمَّد بن إسحاق، ويحيى بن سعيد، وربيعةُ بن عبد الرّحمن، وحنظلةُ بن أبي سفيان الجمحي، وعبدُ العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وغير هؤلاء ، وكان أبو يوسف يَختلف في مجالس هؤلاء ويتعلَّم منهم الحديثَ، وأَكْثَر عمَّن قدم من الحجاز....).ولا شكّ أن الاهتمام بهذه الحقبة الزَّمَنيّة وتجليَةِ آثارها وإبرازِ مناهجها في حفظ السنّة النبويّة وتدوينها ونشرها ، وأثرِها في الحديث وعلومِه لمن أهمِّ ما ينبغي أن تَتَوجّه إليه العنايةُ .وقد نضجت المدارس الحديثية مبكرا،ففي حياة النبي صلى الله عليه وسلم كانت المدينة النبوية هي دار العلم التي لا تضاهيها مدينة أخرى، ففيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المقربون من المهاجرين والأنصار، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقي عدد عدد كبير من الصحابة في المدينة

وتوفي بها أكثر من عشرة آلاف صحابي، فشكلوا مدرسة الحديث بها .وجاء التابعون الذين تخرجوا على يد الصحابة بعدهم فأثروا هذه المدرسة، وكذلك أتباع التابعين وهكذا .ومع أنه قد ظل بالمدينة أكبر تجمع للصحابة الكرام إلى أن انقرض جيلهم، فقد خرج عدد لا بأس به منهم في الفتوح، واستوطنوا المدن الإسلامية المفتوحة، وزاد انتشارهم بعد وفاة عمر رضي الله عنه، فتوزعوا أكثر في الأمصار فأسسوا هذه بها بدايات المدارس الحديثية، وجاء التابعون بعدهم فأثروا هذه المدارس، وكذلك فعل أتباع التابعين، والذين يلونهم وهكذا انتشر العلم في جميع الأمصار رغم أن المدينة عرفت صحوة أسبق وأكبر .وفي العصور المتأخرة صار العلم الحديثي ينتقل من إقليم إلى آخر :وقد كان علم الحديث متقويا في الحجاز، ثم بعده انتقل إلى العراق، ثم إلى مصر، ثم كانت الصحوة العلمية الحديثية في اليمن، ثم إنتقلت إلى الهند .

نشأة المدارس الحديثية

أولا: مدرسة الحديث في المدينة وأهم أعلامها: يمثلها من الصحابة زيد بن ثابت، ومن طبقة المصنفين مالك بن أنس.

كانت المدينة المنورة، هي مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وبها حدث النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثه؛ لأن أكثر التشريع الإسلامي كان بها. وما زالت المدينة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، هي عاصمة الدولة الإسلامية، ومركز الخلافة الراشدة، ومقر كبار الصحابة.

وقد اشتهر بالمدينة من الصحابة، الذين كانت لهم قدم في الحديث، والفقه عدد كثير منهم أبو بكر وعمر وعثمان، وعلي قبل انتقاله إلى الكوفة، وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت، الذي اشتهر بفهم الأحكام من الكتاب والسنة والرأي السديد، حتى أن عمر كان يستبقيه للاستئناس برأيه، فيما يعرض له من القضايا.

وقد استمر زيد مترنسا على القضاء، والفتوى والقراءة والفرائض زمن عمر، وعثمان، وعلي إلى أن مات سنة 45 في خلافة معاوية رضي الله عنهم.

هذا وقد تخرج على أيدي هؤلاء الأفاضل، الفوج الأول من التابعين لهم بالمدينة، ومن أشهر هؤلاء سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير بن العوام، وابن شهاب الزهري، وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود وسالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، ونافع مولى ابن عمر وغير هؤلاء من حفاظ السنة، الذين كان إليهم المرجع في الحديث والفتوى.

واتفاق المصنفين على إعطاء المدينة هذه الأهمية الكبيرة له أهمية في الدلالة على كثرة العلماء ونشاط الرواية فيها وتفوقها على مراكز العلم الأخرى في العالم الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة على الأقل.

ولا عجب في ذلك لأن المدينة دار السنة فيها تجمع الصحابة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الهجرة حيث تلقوا الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا مصادر العلم لمن جاء بعدهم من حملة العلم ورواة الآثار. ومن المدينة انتشر العلم إلى بقية المدن والأمصار بخروج عدد كبير من الصحابة منها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث استقروا في البلاد المفتوحة ونشروا العلم والرواية فيها.

إن المكانة العلمية والأدبية التي تمتعت بها المدينة تجعل من الصعوبة بمكان أن تتقدمها أية بلدة أخرى حتى أن ابن الجوزي "القرن السادس الهجري" أراد أن يتخذ بغداد نقطة البداية في ترتيب كتابه "صفة الصفوة لأنها أولى من غيرها إلا أنه "لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما" فإنه بدأ بالمدينة ثم ذكر مكة قبل بغداد.

ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المؤسس الأول لهذه المدرسة بل للدين كله.

فكان مسجده مقر قيادته للأمة دين ودنيا وعلما وعملا، وبعد موته صلى الله عليه وسلم وتفرق الصحابة للجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام في أنحاء الأرض لم يبق في المدينة إلا القليل منهم ممن استبقاه الخلفاء الراشدون لمشورتهم ولنشر العلم في المدينة النبوية

وكان من أولئك الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي كان كما قال قبيصة بن ذؤيب:"راسا في الفتوى والقضاء والقراءة والفرائض" كما كان من كتاب الوحي أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الذي انتدب لجمع القرآن في زمن أبي بكر الصديق ثم في زمن عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

ولذلك اعتبره الإمام علي بن المديني من الثلاثة الذين تأسست على أيديهم مدارس العلم الأولى فقال:"لم يكن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من له صحبة يذهبون مذهبه ويفتون بفتواه ويسلكون طريقته إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس". ثم قال ابن المديني رحمه الله: "وأصحاب زيد بن ثابت الذين كانوا يأخذون عنه ويفتون بفتواه، منهم من لقيه، ومنهم من لم يلقه، اثنا عشر رجلا:

1- سعيد بن المسيب توفي بعد سنة تسعين للهجرة. 2- عروة بن الزبير بن العوام (ت 94 هـ). 3- قبيصة بن ذؤيب (ت بعد سنة (80 هـ). 4- خارجة بن زيد بن ثابت (ت 100 هـ). 5- سليمان بن يسار (ت بعد سنة 100 هـ). 6- أبان بن عثمان بن عفان (ت 105 هـ). 7- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت 94 هـ). 8- القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت 106 هـ). 9- سالم بن عبد الله بن عمر (ت 106 هـ). 10- أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي (ت 94 هم). 11- طلحة بن عبد الله بن عوف. 12- نافع بن جبير بن مطعم". ثم قال: "فأما من لقيه منهم وثبت عندنا لقاؤه: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار.

ولم يثبت عندنا من الباقين سماع من زيد فيما ألقي إلينا، إلا أنهم كانوا يذهبون مذهبه في الفقه والعلم.

ولم يكن بالمدينة بعد هؤلاء أعلم بهم من:

1- ابن شهاب الزهري. 2- ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت 144 هـ) أو بعدها. 3- وأبي الزناد عبد الله بن ذكوان (ت 130 هـ). 4- و بكير بن عبد الله بن الأشج (ت 120 هـ). 5- و أبي بكر بن محمد بن حزم (ت 120 هـ)". وقال: "ثم كان بعد هؤلاء يذهب هذا المذهب و يقوم بهذا الأمر: 1- مالك بن أنس الأصبحي (ت 179 هـ). 2- وكثير بن

فرقد. 3- والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي. 4- وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون (ت 164 هـ)". وعبد الرحمن بن مهدي (ت 198 هـ) يحب ذا الطريق ويذهب ذا المذهب ولا يقدم عليه أحدا".

ثانيا:مدرسة الحديث في مكة وأعلامها: يمثلها من الصحابة عبد الله بن عباس، ومن طبقة المصنفين سفيان بن عيينة.

بقية مدن الحجاز كان دورها في الرواية ضئيلا إذا قيست بالمدينة، وتبرز بينها مكة بسبب مركزها الديني واجتماع العلماء فيها في مواسم الحج حيث يعقدون بعض الحلقات العلمية خلال هذا الموسم كما برز بعض الموالي من أهلها في العلم والرواية. ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، خلف بها معاذ بن جبل يعلم أهلها الحلال والحرام، ويفقههم في الدين ويقرئهم القرآن الكريم. وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علما وحلما، وسخاء شهد مع رسول الله المشاهد كلها، وكان يعد من أعلم الصحابة بالحلال والحرام. وقد روى عنه ابن عباس وعمر وابنه. وأخيرا تزعم دار الحديث بمكة عبد الله بن عباس، بعد رجوعه من البصرة وإليه يرجع الفضل فيما كان لمكة من شهرة علمية. فقد كان عبد الله من أوعية العلم وحفاظ الحديث. وكان بها كثير من الصحابة غيره ذكر منهم الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث" جملة وافرة. فمنهم عبد الله بن السائب المخزومي، قارئ الصحابة مكة، وعتاب بن أسيد خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخوه خالد بن أسيد والحكم بن أبي العاص. وعثمان بن طلحة، وغيرهم.

وقد تخرج بهذه الدار على يد عبد الله بن عباس، كثير من التابعين من أشهرهم مجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم.

هذا ولا تنس ما لمكة والمدينة من أثر كبير، امتازتا به على جميع بلدان العالم، حتى في عصرنا الحاضر ففيهما ينعقد هذا المؤتمر الإسلامي في كل عام، ويأتي إليه المسلمون من كل فج عميق. ولا يخفى ما لهذا الاجتماع من أثر كبير في نشر العلوم، والمعارف إذ يلتقي فيه رواة الحديث وحملة العلم بعضهم ببعض، يعرضون الأحاديث وينقحون الأسانيد، فيستكمل الراوي علمه بالحديث ورجاله .

ولقد كان الحج من أعظم الروابط، والصلات التي تربط الأقطار الإسلامية بالحياة العلمية في هذين البلدين. إلا أن ذلك لم يكن ليسد حاجة هذه الأقطار الواسعة، لذلك نزح كثير من الصحابة إليها هداة ومعلمين.

وممن نزل مكة من الصحابة: الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن السائب المخزومي قارئ الصحابة بمكة و عتاب بن أسيد وشيبة بن عثمان الحجبي وصفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو وغيرهم.

وإمام مدرسة مكة حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، مات بالطائف (سنة 68 ها)، قال الإمام علي بن المديني (ت 234 هـ) في العلل: "وأصحاب ابن عباس الذين يذهبون مذهبه ويسلكون طريقه 1- عطاء بن أبي رباح (ت 114 هـ). 2- طاووس بن كيسان (ت 106 هـ) . 3- مجاهد بن جبر (مات بعد المائة بقليل) . 4- أبو الشعثاء جابر بن زيد (ت 93 هـ) . 5- عكرمة أبو عبد الله البربري (ت 104 هـ). 6- سعيد بن جبير (قتله الحجاج سنة 95 هـ). فأعلم هؤلاء سعيد بن جبير وأثبتهم فيه".

وقال علي بن المديني في موضع آخر: "وكان أصحاب ابن عباس ستة الذين يقولون بقوله ويفتون به ويذهبون مذهبه، هؤلاء الستة سعيد بن جبير، وجابر بن زيد، وطاووس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة.وكان أعلم الناس بهؤلاء وبطريقهم وبهذا المذهب: عمرو بن دينار، وكان قد لقيهم جميعا. وكان ابن أبي نجيح يذهب هذا المذهب ويفتي بذا الفتيا إلا أنه لقي بعض هؤلاء، ولم يلق بعضهم.وكان أعلم الناس بهؤلاء وبطريقهم ومذهبهم ابن جريج وسفيان بن عيينة".وابن أبي نجيح هو عبد الله بن يسار المكي (ت 131 هـ).

ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: قال النسائي في "تسمية فقهاء الأمصار": (وأصحاب عبد الله بن عباس من أهل مكة) 1- عطاء 2 - وطاوس 3 - ومجاهد 4 - وسعيد بن جبير 5- وجابر بن زيد 6 - وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (وبعد هؤلاء) 7- عمرو بن دينار وبعده 8 - ابن جريج 9- و سفيان بن عيينة 10- مسلم بن خالد الزنجي (ت 179 هـ) وليس بالقوي في الحديث 11 - وسعيد بن سالم القداح 12 - محمد بن إدريس الشافعي وأصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني. وأبو ثور إبراهيم بن خالد ت 240 هـ ويوسف بن يحيى البويطي مات في محنة خلق القرآن سنة 231 هـ وأبو الوليد موسى بن أبي الجارود. وعبد الله بن الزبير الحميدي ت 219 هـ .

ثالثا:خصائص وسمات المدرسة الحديثيّة في مكة والمدينة

1- مدار الحديث على جلة الصحابة والتابعين وأتباعهم:

أ- مدار الحديث على الصحابة المكثرين من الرواية:إن من أهم وأبز سمات المدرسة الحديثيّة في مكة والمدينة؛ وجود جِلَّةٍ منَ الصّحابة المكثِرين مِن الحديث عَن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، والّذين يمثّلون المحورَ الأساس للمدرسةِ الحديثية، وذلك يُسْهم في كَشْف المعالِمِ الرّئيسَةِ الّتي تحددّ أهمّ أُطُرِ هذه المدرسةِ الّتي بَرزتْ من خلالها أهمُّ المسائل الحديثيّة والمرويّاتِ الأثريّة المسنَدة إليها.وقد تفاوت رواياتِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم عن رسول الله كثرةً وقلّةً ، وذلك عائدٌ إلى أمورٍ منها:

-تَقَدّم إسلام الصَّحابِي أو تأخّرُه؛ فالمتقدِّم يَحظى بأكبر فُرْصَةٍ للرّواية عن النَّبي لا يجدُها من تأخَّر إسلامُه عادةً.

-تأخُّر وفاة الصَّحابيّ أو تقدّمها؛ فالّذي تتأخَّر وفاته يحتاج النّاس إلى رواياته، فَيروون عنه كثيراً؛ كجابر بن عبد الله الّذي كانت وفاتُه (ت73هـ) وكان التّابعون على شَغَفٍ بمعرفةِ سنّة نبيّهم والصَّحابة الّذين بين ظَهرانِيهم وقْتَئِذٍ قلَّةٌ، فَحملهم هذا الشَّغَفُ وَقلَّة الصَّحابة على الاستكثار من الرِّواية عَنه.

-تَفرّغ الصّحابي لمجالسةِ النّبي صلى الله عليه وسلم ومُصاحَبتِه ، أو عَدمُ تفرُّغه لذلك، فأكثرُ الصَّحابة كانوا أصحابَ تجارةٍ أو زراعَةٍ، وتَفرّغ طائفَةٌ منهم لملازمة النّبي صلى الله عليه وسلم ومصاحبته، كأبي هُريرة وعبد الله بن عُمر وأنس بن مالك، وعائشة، رضي الله عنهم.

-مَوطنُ إقامةِ الرَّاوي؛ فَمن عاش في بلدٍ تُعمل إليه الْمُطِيّ وتَكثر الرّحلات صَوْبَه، فإنّه يَنتشر من علمه في الأمصار، وتتوزَّع مرويَّاتُه في الآفاق ما لا يحصل لمن كانت حياتُه في بلدٍ مغمور لا يجد من أسباب الرِّحلة إليه إلاَّ قليلاً، فلذلك انتشرَت عُلوم من عاشوا في الْحَرَمَيْن أكثر من غيرهم في الجملة.

-كَثرةُ تلاميذِ الرَّاوي، وهمَّتُهم في حمل علمه ونَشره، فمن حظي بكثرة التّلاميذ ذوي همم عاليةٍ في نشر العلم وأدائه، فإنه يفوق غيره ممن لم يكن مثله في كثرة التلاميذ، كأبي هريرة رضي الله عنه مثلاً في الصّحابة، والإمامين ابن شهاب الزّهري، ومالك بن أنس فيمن بعدهم.

-تَفاوتُ الصَّحابة في الحفظ وضَبط الصَّدر، فأكثرُهم حفظاً أبو هريرة رضي الله عنه لِمكان دعاء النّبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، وَقد وصف عُمَر رضي الله عنه حالَ الصَّحابة مِن حفظِ الحديث فقال : ((قام فينا النّبي صلى الله عليه وسلم مقاماً فَأخْبَرَنَا عَن بَدْءِ الخلق، حَتّى دخل أهل الجنّةِ منازِلَهُم وأهلُ النّار منازِلَهم، حَفظَ ذلك من حَفِظَه، ونَسِيَه من نَسِيَه)). ويقول حذَيفة بن اليَمَان : ((قَام فِينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَقَاماً فَما تَرك شيئاً يكون في مَقامه ذلك إلى قِيام السّاعة إلاَّ حدّث به، حَفِظَهُ مَن حَفِظه، ونَسِيَه من نَسِيَه، قد عَلِمَه أصحابي هؤلاء، وإنّه لَيكون مِنه الشّيء قَد نَسيتُه، فَأراه فأَذْكُره كمَا يذكر الرّجل وجْهَ الرّجل إذَا غاب عنه، ثمّ إذا رَآه عَرَفه).وقد نص بقي بن مخلد في مسنده ((مسند بقي بن مخلد)) على مُجَاوَزة المكثرين من الصحابة أَحَاديثِهم الألف، ممن نُعِتوا بالإكثار من الرّواية، النّعت الدَّالّ على دَوَران الإسناد عليهم؛ وهم : أبو هريرة (ت58هـ)، وأبو سعيد الخدريّ (ت74هـ)، وابن عُمر (ت73هـ)،وابنُ عبّاس (ت68هـ)، وجَابر بن عبد الله (ت78هـ)، وعَائشة (ت57هـ) رضي الله عنهم، مُستثنياً منهم : أنسَ بن مالك رضي الله عنه ،إذْ عِدَادُه في الْبَصْرِيّينَ .قال ابن الجوزيّ رحمه الله :(وَأَمَّا رُوَاةُ العِلْمِ فَسِتَّةٌ : ابنُ عمر، وَجَابِر، وأبُو سَعِيد الخدريّ، وأبُو هُرَيْرَة، وأَنَس، وعَائِشة) .فَلَمْ يَذْكر ابن عبّاس رضي الله عنه في هذَا السِّيَاق، لأنّه آثرَ ذِكْرَه بَعْد ذَلِكَ في رُواة التّفسير.وعَنْ هَؤلاءِ وأَمْثَالِهم

نُقلتْ إلَينا السّنَّةُ النَّبويَّة، وإلَيْهم يَرجِع الْفَضْلُ في حِفظ الرِّسالَةِ المحمديَّة، فإنَّ رِواياتهم هي التي تدلّ عَلى النُّبُوَّة الوَاضِحة، والمحجَّة الْبَيْضاءِ، وَإذا نَظرنا إلى تواريخ وَفَيَاتِهم بَدا لَنَا أنَّ الله عَزَّ وَجلَّ قَد نَسَأَ فِي آجَالِهِم، وأَطَال حَياتَهُم حتَّى يَتَسنَّى لِكثِيرٍ مِن النّاس أن يَتَلقّوا عَنهم مَا حَفِظُوا مِن الْعِلم النَّبويّ، ويَعُوا أَقْوَالَهُم وَينشُروا رِوَايَاتِهم، ولم يَكُنِ الْعِلْمُ يَومئذٍ إلاَّ مَعْرَفةَ هذا الشَّأن.ويعود للصحابة رضي الله عنهم وتلاميذهم الفضل في إنتشار الرواية في كُبْرَيات الأمصار الإسلاميّة،وبخاصّةٍ الْحَرَمان، والعراقان (البصرة والكوفة)، والشّام ومِصْر، وذلك يبرز الدَوْرِ العِلْميّ المميَّز في المسيرة العلميّة لمدرسة الْحَرَمَيْن الحديثيّة.

ب– مدار الحديث على التابعين وأتباعهم من الرواية:

لقد أَبَان الإمام عليّ بن المديني عن هؤلاء الحفّاظ،وأوضح أنّ علمَ الأسانيد مدارُه عليهم من عصر الزّهري رحمه الله إلى الطّبقات الّتي تلي طبقتَه، فقال رحمه الله :(نظرتُ فإذا الإسناد يَدُور على ستّة : فلأهل المدينة : ابن شهاب، وهو محمّد بن مسلم بن عبدالله بن شِهَاب، ويكنَّى أبَا بكر، مات سنة أربع وعشرين ومئة. ولأهل مكّة : عَمرو بن دينار مولى جُمَح، ويُكنَّى، أبا محمّد، مات سنة ستٍّ وعشرين ومئة) .ثم ذكر أهلَ الكوفة (وهما:أبو إسحاق السبيعي، والأعمش) وأهلَ البَصْرة (وهما : يحيى بن سعيد ويحيى بن كثير)، ثمّ تَابَع قائِلاً : (ثمّ صار علمُ هؤلاء الستّة إلى أصحاب الأصناف ممّن صنّف : فلأهل المدينة : مالكُ بن أنس بن أبي عامر الأصبحيّ، عِدادُه في بني تَيْم الله، وَمات سنةَ تسعٍ وسبعين ومئة، وسمع من ابن شهاب. ومحمّد بن إسحاق بن يَسار مولى بني مخرمة، ويُكنَّى أبا بكر، مات سنة اثنتين وخمسين، وسمع من ابن شهاب والأعمش. ومن أهل مكة : عبدالملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج مولًى لقريشٍ، ويُكَنَّى أبا الوليد، مات سنة إحدى وخمسين ومئة. وسفيان بن عُيينة بن مَيمون، مولى محمّد بن مُزاحم أخي الضّحّاك بن مُزاحم الهلالِيّ، ويُكنَّى أبا محمّد، مات سنة ثمان وتسعين ومئة. سفيان لقيَ ابنَ شهاب، وعَمرَو بْن دينار وأبَا إسحاق، والأعمش).

وهذه أسامي من ذكرهم الإمام ابن المديني ممن له صِلَةٌ مباشرةٌ بالحديث عن مدرسة الحديث في الحرَمَيْن؛ مكّة والمدينة، وهم ستّة من الحفّاظ، اثنان منهم في طبقة التّابعين، وهما : الزّهري في المدينة، وعمرو بن دينار في مكّة. وأربعةٌ في طبقة أتباع التّابعين من تلاميذ أصحاب الطّبقة المتقدِّمة، وهم : مالك بن أنس، ومحمّد بن إسحاق، وهُما ممن روى عن الزّهري وصنّف العلم بالمدينة. ثمّ ابن جريج، وابن عيينة، في مكّة، وهما ممّن سمع من عمرو بن دينار، ومن أوائل من صنّف العلم بمكّة.ومُراد الإمام ابن المديني رحمه الله الإشارةُ إلى معرفة من يَدُور عليهم مقبولُ الأسانيد وثابتها، لا مردودها وضعيفها؛ وقد أشار إلى هذا الحافظ الذّهبيّ حين نقل كلام ابن المديني فعلّق عليه بقوله : (يعني الأسانيدَ الصِّحاح).وقال في (تذكرة الحفاظ): (يعني أنّ غالبَ الأحاديث الصِّحاح لا تخرج عن هؤلاء الستّة).

2– قلة الكَذب والتُّهمةُ به في المدرسة الحديثيّة بمكّة والمدينة

أخرج الخطيب البغداديِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ـ مِن طريق معن بن عيسى، قال : قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله (ت 179هـ) (لا تأخذ العلم من أربعة وخذ مِن سوى ذلك :

أ– لا تأخذ العلمَ من سفيهٍ مُعْلِنٍ بالسَّفَه ، وإن كان أروى النّاس.

ب– ولا تأخذ من كذّاب يَكْذب في أحاديث النّاس ، إذا جُرِّب ذلك عليه، وإن كان لا يُتَّهم أن يَكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج– ولا من صاحب هوىً يدعو النّاسَ إلى هواه.

د–ولا من شيخٍ له فضل وعبادةٌ ، إذا كان لا يعرف ما يحدِّث)

ففي هذا النّصّ دعوةٌ وتحذيرٌ صريح من الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من الرّواية عن هؤلاء الأربعة الأصناف،من بينهم : الكذّاب، والمتَّهَم بالكذِب.

ويُطْعَن الرَّاوي بالكَذب في الحديث النّبوي إذا أضاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس منه قولاً أو فعلاً أو تقريراً متعَمِّداً لذلك.

والكذّاب : من قام في حقّه فعلُ ذلك ولو مرّةً واحدةً في حياته.

والتُّهمة بالكذب : هي أنْ يَرْويَ الرَّاوي حديثاً يتفرّد به ، ويكون مخالفاً للقواعد المعلومة ، وكذا من عُرِف بالكذب في كلامه ، وإن لم يظهر منه وقوعُ ذلك في الحديث النّبوي ، وهو دون الأوّل.

والكذبُ في أهل مكّة والمدينة في القرون الثّلاثة الأولى قَلِيلٌ :قال شيخ الإسلام : (وقد اتّفق أهلُ العلم بالحديث عَلى أنّ أصحّ الأحاديث أحاديثُ أهلِ المدينة، ثُمّ أحاديث أهلِ البصرة، وأمّا أحاديثُ أهل الشّام فَهي دون ذلك؛ فإنّه لم يكن لهم من الإسناد المتّصل وضبط الألفاظ ما لِهَؤلاء ،ولم يكن فيهم ـ يعني أهل المدينة، ومكّة والبصرة، والشّام ـ مَن يُعرف بالكذب، لكن منهم من لا يَضبط....)

وقول شيخ الإسلام : (وَلَمْ يَكُن فيهم ـ يعني أهلَ المدينة، ومكَّة والبصرة، والشَّام ـ من يُعرف بالكذب، لكن مِنهم من لا يَضْبَط)، يُشير به إلى نُدرة من كان يُوجد فيهم ممن يتعمّد الكذب، لكن قد يُوجد فيهم من لا يَضبط، فَيقع في الإخبار بالكذب بِسبب سوءِ الحفظ وضعف الاستحضار.

وكلّ مَن نُسب منهم إلي الكَذب أو الوضع إنّما هم ممن عَاش في الْقَرْن الثّاني الهجريّ،ولَيس من بَيْنهم تابعيٌّ واحدٌ، فأغلبُهم مِمّن تُوفُّوا في النِّصف الثَّاني من ذاك القرن الهجري.

3– قلة التدليس به في المدرسة الحديثيّة بمكّة والمدينة.

التدليس لغةً : كتمانُ العيب ، ومنه تدليسٌ في الْبيع، وهو كتمان الْعَيب في السِّلعة على المشتري، فُيوهم السَّلامة منه.

واصطلاحاً : قال أبو بكر الخطيب ـ رحمه الله ـ ((روايةُ المحدِّث عَمَّن عَاصره ولم يَلْقَه، فَيُتَوهَّم أنّه سَمع منه. أو : روايتُه عمّن قد لَقِيَه ما لم يسمعه منه. هذا هو التّدليس في الإسناد))( ). قال الإمام البخاريُّ رحمه الله : ((لا أَعْرِفُ لابن أبي عَرُوبةَ سماعاً من الأعمش ، وهو يُدَلِّس ، ويَروِي عنه))( ).

و((التّدليس للحديث مكروهٌ عند أكثر أهل العلْم ، وقد عَظَّمَ بعضهم الشَّأن في ذمِّه، وتَبَجَّح بعضُهم بالبراءة منه)).

وَعدَّ الحافظُ الذّهبي ـ رحمه الله ـ المدلِّسَ داخلاًً في عُموم قوله تعالى : "وَيُحِبّون أَن يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُواْ"....( ) ودَاخلاً في قوله عليه الصّلاة والسَّلام : ((مَن غَشَّنا فَلَيْس منَّا)) ؛ ((لأنَّه يُوهِم السَّامعين أنَّ حديثَه مُتَّصلٌ ، وفيه انقطاعٌ ، هذا إذا دَلَّسَ عن ثقةٍ ، وأمَّا إذا دَلَّس خَبَرَه عن ضَعيفٍ يُوهِم أنَّه صحيحٌ ، فهذا قد خان الله ورسوله ، وقد قال عبد الوارث بن سعيد: التَّدليس ذلٌّ).

وقد قال الخطيب البغدادي – رحمه الله – : ((التّدليس يشتمل على ثلاثةِ أحوالٍ تقتضي ذمَّ المدلِّس وتَوْهِينَه :

فأحدها : ما ذكرناه من إيهامه السَّماع ممّن لم يَسْمعْ منه ، وذلك مقاربُ الإخبار بالسَّماع ممّن لم يَسْمع منه

والثّانية : عُدولُه عن الكشف إلى الاحتمال، وذلك خلافُ مُوجَبِ الوَرَعِ والأمانة.

والثّالثة : أنّ المدلِّسَ إنما لم يُبَيِّن من بينه وبين من رَوَى عنْه لِعِلْمِه بأنَّه لو ذَكَره لم يَكنْ مَرضياً مقبولاً عند أهل النّقل ، فلذلك عَدَلَ عن ذِكْرِه .

وفيه أيضاً : أنّه إنما لا يَذْكر من دَلَّس عنه طلباً لتَوْهيمِ عُلُوِّ الإسناد والأَنَفَةِ من الرِّواية عمَّن حدّثه ، وذلك خلافُ مُوجَبِ العدالة ، ومُقْتضَى الدِّيانة من التّواضع في طلب العلم، وترك الحميَّة في الإخبار بأخذ العلم عَمّن أخذه...).

وقد بَدأ ظهورُ التّدليس في مَناهج الرّواة من عَصر التّابعين، وتَعَاطاه جِلَّةٌ من عُلمائهم، وكبارِ أئمَّتهم : قال يعقوب بن سفيان الفَسوي (ت277هـ) : ((أبو إسحاق رَجُلٌ من التّابعين ، وهو مِمّن يَعْتَمد عليه النّاس في الحديث، هو والأعمشُ، إلاّ أنّهما وسفيانَ الثّوريَّ يدلِّسون، والتَّدليس قَدِيم)).وفعلهم هذا؛ رُبما سَوَّغ لبعض من جاء بعدهم أن يَجريَ خلفَهم ويستدلّ

لتدليسه بفعلهم؛ لكونهم من أئمّة هذه الأمّة وعلمائِها؛ فقد قال عبد الله بن المبارك : قلت لهشيم : مَالَكَ تُدَلِّس وقد سمعتَ؟ قال : ((كان كَبِيراكَ يُدلِّسان)) وذَكَر الأعمشَ والثّوريَّ.

ثمّ إنّ المدلِّسين ليسوا على مَرتبةٍ واحدةٍ من حيث القبولُ والرّد، بل ذَهب الحافظ العلائيّ إلى تقسيمهم خمسَ طبقاتٍ:

الطّبقة الأولى : مَن لَمْ يُوصَف به إلاّ نادراً، بحيث إنّه لا ينبغي عدُّه فيهم.

الطّبقة الثّانية : من احتمل الأئمَّةُ تدليسَه، واحتجَّ به أصحابُ الصَّحِيح، وإن لم يُبَيِّن السَّماع؛ لإمامتِه أو قلَّةِ تدليسِه، أو لكونِه لا يُدلِّس إلاَّ عن ثِقَةٍ.

الطّبقة الثّالثة : من تَوقَّف فيهم جماعةٌ من العلماء، فلم يحتجّوا إلا بما بَيَّنُوا فيه السَّماع.

الطَّبقة الرَّابعة : مَن اتفقوا على أنّه لا يُحتجُّ بشيءٍ من حديثهم، إلاّ بما بَيَّنوا فيه السَّماع؛ لغلبة ذلك منهم، وكثرةِ تدليسهم عن الضّعفاء والمجهولين.

الطَّبقة الخامسة : من ضُعِّفوا بأمرٍ آخر مع جَرْحهم بالتّدليس.

وهذا تقسيمٌ جارٍ على طريقة المتقدِّمين في المدلّسين،ومَبْنِيٌ على استقراء مَناهِجهم،ومعاملتهم مع الرّواة الموصوفين بالتّدليس.

كما تَجدر الإشارةُ أيضاً إلى أنّ البلدان متفاوِتَةٌ في معاطاة روَاتها للتّدليس؛ فهو في الكّوفِيّين كثيرٌ، مع إكثارهم من حِفظ السّنن ونَقْلِها، وتقدُّمهم في العلم بها ونشرها، حَتّى قال عبد الرّحمن بن مهدي : ((حديثُ أهل الكوفة مَدْخولٌ)).

وقال الحاكم : ((أهل الكُوفة منهم من دَلَّس، ومنهم من لم يدلِّس، وقد دلّس أكثرُهم...)).

وقال أيضاً : ((وأكثرُ المحدِّثين تدليساً أهلُ الكوفة، ونفرٌ يسيرٌ من أهل البصرة)). وذكر أهلَ بغداد مدينة السَّلام، ونفى وجودَ التّدليس بها حَتّى أظهره بين البغداديّين أبو بكر بن محمّد بن سليمان الباغنديّ المتوَفَّ سنة 312هـ.

وهذا خلافُ ما كان الأمر عليه في الحجاز؛فإنّ التّدليس ليس يُعرف من مذهب الحجازيّين،أو هو فيهم نادرٌ جداً لا يشكِّل منهجاً سائداً بَينَهم، صرّح بذلك غير واحدٍ من العلماء :

1- قال الإمام الشافعي : ((ولم نَعرف بالتّدليس ببلدنا فيمن مَضى ولا مَن أدركنا من أصحابنا إلاّ حديثاً)).

قوله : (إلا حديثاً) معناه : إلاّ ما حُدِّثوا بِه، وسَمعوه من مَشايخهم.

2- وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : ((إنّ أهل الحجاز والحرمين، ومصر والعوالي ليس التّدليس مذهبَهم)).

3- وقال أبو بكر الخطيب : ((أصحّ طُرق السُّنَن ما يرويه أهلُ الحرمَيْن؛ مكَّة والمدينة؛ فإنّ التّدليس فيهم قليلٌ، والاشتهار بالكذب ووضع الحديث عندهم عزيزٌ))( ).

4- وقال الحافظ ابن حَجر : ((والرَّاجح أنَّ أهلَ المدينة مِمّن بعد الصَّحابة إذا اتَّفقوا على شَيْءٍ كان الْقولُ به أقوى من الْقول بغيرِهِ إلاَّ أن يخالِف نصاً مرفوعاً. كما أنّه يُرَجَّح بروايتِهم؛ لِشهرتهم بالتَّثَبّت في النَّقل وتَرْكِ التَّدْليس)).

ولكن مع اشتهارِهم بالبُعد عن التّدليس؛ فقد نُسب غير واحدٍ منهم إليه، وعِيب فعلُه عليه، وصُنِّف في عِداد المدلِّسين، مِمّا حملنا على تَتبُّع أسامي الموصومين به منهم، ودراستهم دراسةً مفصَّلةً؛ تهدف إلى كشف حقيقة تلك النّسبة، ومعرفة صحتها من عدمها،وهل كَثُر ذلك منهم بحيث شَكِّل منهجاً للرّواية عندهم، أم لا؛ لأنّ لفظ (التدليس) كسائر ألفاظ التّجريح، لا يُقبل إطلاقُه في كلّ راو بعينه إلا بعد النّظر في مجمل ما ذكره الأئمّة في حقّه، وتحرير أقوالهم على ضوءِ قواعد هذا العلم، فقد يُطلَق هذا الوصفُ على راوٍ، ثمّ عند التّحقيق تثبت براءَتُه ، كسائر ألفاظ الجرح تماماً.

رابعا: مدرسة الحديث في الكوفة: مصر الكوفة سعد بن أبي وقاص في سنة 17 هـ في خلافة عمر. وكانت الكوفة هي قاعدة الجيوش الإسلامية، لذلك نزل بها عدد كبير من الصحابة، زمن الفتوح وأكثرهم دفن بها.

ذكر من سكن الكوفة من الصحابة: ذكر الحاكم في علوم الحديث بعض من سكن الكوفة من الصحابة، منهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر وأبو موسى الأشعري، والبراء بن عازب والمغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير وأبو الطفيل، وأبو جحيفة. ويمكن أن يضاف إليهم: سهل بن حنيف والنعمان بن بشير وجرير بن عبد الله البجلي وعدي بن حاتم الطائي وسليمان بن صرد ووائل بن حجر وسمرة بن جندب وخزيمة بن ثابت وغيرهم وهؤلاء أكثرهم دفنوا في الكوفة .

ونشاط الرواية في العراق يكاد يضاهي المدينة وعلى وجه التحديد في الكوفة والبصرة فقد استقر فيهما عدد كبير من الصحابة فيهم من اشتهر بقراءة القرآن مثل أبي موسى الأشعري وفيهم من عرف بالفقه مثل عبد الله بن مسعود.

وقد كانت الإمامة في مدرسة الكوفة الصحابي الجليل ذو الهجرتين: عبد الله بن مسعود؛ لكثرة علمه وطول مكثه بها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد سيره إليها ليعلم الناس أمور دينهم ثم ولاه عثمان رضي الله عنه عليها، وتوفي سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين.

فتخرج على يديه كثير من أصحابه، من أشهرهم:

مسروق بن الأجدع الهمداني، وعبيدة بن عمرو السلماني، الذي قال فيه الشعبي: كان يوازي شريحا في القضاء، والأسود بن يزيد النخعي، وشريح بن الحارث الكندي، الذي استقضاه عمر على الكوفة، ولم يزل قاضيا عليها حتى زمن الحجاج، ثم استقال قبل موته بسنة، وإبراهيم بن يزيد النخعي فقيه العراق وسعيد بن جبير، وعامر بن شراحيل الشعبي علامة التابعين، وكان إماما حافظا.

قال علي بن المديني في العلل: "فأصحاب عبد الله بن مسعود الذين يفتون بفتواه، ويذهبون مذهبه، ويقرؤون بقراءته:

1- علقمة بن قيس النخعي (مات بعد سنة ستين للهجرة). 2- والأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله) النخعي (توفي سنة أربع أو خمس وسبعين). 3- ومسروق بن الأجدع الهمداني (توفي سنة اثنين أو ثلاث وستين). 4- عبيدة - بفتح المهملة - بن عمرو السلماني (المتوفي قبل سنة سبعين). 5- الحارث بن قيس الجعفي، قتل بصفين، وقيل: مات بعد علي

رضي الله عنه. 6-عمرو بن شرحبيل الهمداني (توفي سنة 63 هـ).وكان إبراهيم- النخعي-عندي من أعلم الناس بأصحاب عبد الله وأبطنهم به".

وأصحاب هؤلاء الستة من أصحاب عبد الله، ممن يقول بقولهم ويفتي بفتواهم:

1- إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي (توفي سنة 96 هـ)، وعمره قريب من الخمسين سنة.

لقي من هؤلاء الأسود و علقمة ومسروق وعبيدة، ولم يسمع من الحارث بن قيس ولا من عمرو بن شرحبيل، وروي عن همام بن الحارث عنه.

2- وعامر بن شراحيل الشعبي (توفي بعد سنة مائة) سمع منهم كلهم إلا الحارث بن قيس".

وقال في موضع آخر: "كان أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله بن مسعود وطريقتهم ومذهبهم: إبراهيم النخعي وعامر الشعبي، إلا أن الشعبي كان يذهب مذهب مسروق، يأخذ عن علي وأهل المدينة، وكان إبراهيم يذهب مذهب أصحابه، أصحاب عبد الله هؤلاء".

وقال رحمه الله: "وكان أعلم الناس بهؤلاء من أهل الكوفة ممن يفتي بفتواهم ويذهب مذهبهم:

1- الأعمش - سليمان بن مهران - (ت 148 هـ). 2- وأبو إسحاق - عمرو بن عبد الله السبيعي - (ت 129 هـ).

"والأعمش أعلم الناس ممن مضى من هؤلاء غير رجل ولم يلق الأعمش من هؤلاء أحدا، لقي أبو إسحاق منهم الأسود بن يزيد ومسروقا وعبيدة السلماني وعمرو بن شرحبيل ولم يلق علقمة ولا الحارث بن قيس".

ومن بعد التابعين هؤلاء: سفيان بن سعيد الثوري (ت 161 هـ) ، وكان يذهب مذهبهم ويفتي بفتواهم. ومن بعد سفيان: يحيى بن سعيد القطان، كان يذهب مذهب سفيان الثوري وأصحاب عبد الله بن مسعود" .

وقال في موضع آخر: "كان أبو إسحاق وسليمان الأعمش أعلم أهل الكوفة بمذهب عبد الله وطريقته، والحكم بن عتيبة (ت 115 هـ) بعد هذين، وكان سفيان بن سعيد أعلم الناس بهذين وبحديثهم وبطريقهم، وكان يحيى بن سعيد يحب سفيان، ويحب هذا الطريق ولا يقدم عليه أحداً".

وقال النسائي في تسمية فقهاء الأمصار: الفقهاء من أهل الكوفة: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود ومن فقهاء التابعين: علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، وعمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني، وعبيدة السلماني، وشريح بن الحارث بن قيس النخعي القاضي، ومسروق بن الأجدع، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، مات بعد سنة سبعين من الهجرة. وبعد هؤلاء: عامر بن شراحيل الشعبي (ت بعد 100 هـ)، وإبراهيم النخعي.

وبعد هذين: الحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان، والحكم أثبتهما في الحديث، ومنصور بن المعتمر، والمغيرة بن مقسم.

وبعد هؤلاء: ابن شبرمة، وابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن، وأبو حنيفة، وليسا قويين في الحديث.

وبعد هؤلاء: سفيان بن سعيد الثوري، والحسن بن صالح بن حي.

وأصحاب أبي حنيفة: زفر بن الهذيل، ويعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي، وعافية بن يزيد

– القاضي الأودي الكوفي مات بعد الستين ومائة، وأسيد بن عمرو.

وأصحاب سفيان الثوري: عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، وعبد الرحمن بن مهدي. وأصحاب الحسن بن صالح: حميد بن عبد الرحمن الراسي ت 189 هـ، ويحيى بن آدم ت 203 هـ.قال عبد الرحمن بن مهدي: لم يكن بالكوفة أثبت من أربعة: منصور، وأبي حصين، وسلمة بن كهيل (ت 121هـ)، وعمرو بن مرة .

خامسا: مدرسة الحديث في البصرة:

ذكر من نزل البصرة من الصحابة: زعيم هذه الدار هو أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد نزلها كثير من الصحابة غيره منهم ابن عباس –وكان واليا عليها من قبل علي– وعتبة بن غزوان، وعمران بن حصين. وأبو برزة الأسلمي ومعقل بن يسار وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن الشخير، وجارية بن قدامة، وأبو زيد الأنصاري وقرة بن إياس المزني وغيرهم وقد تخرج بهذه الدار من التابعين، أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، والحسن البصري، وأدرك خمسمائة من الصحابة، ومحمد بن سيرين وأبو الشعثاء جابر بن زيد صاحب ابن عباس. وقتادة بن دعامة السدوسي، ومطرف بن عبد الله بن الشخيير، وأبو بردة بن أبي موسى، وغير هؤلاء كثير.

ودور البصرة في الرواية يلي دور الكوفة فقد نزلها صحابة لا يقل عددهم عمن نزلوا الكوفة، ولكن عدد من اشتهر بالرواية من التابعين من أهل البصرة أقل من عددهم في الكوفة. فقد ذكر إبن سعد ما ينيف على الخمسمائة تابعي ممن عرفوا بالرواية من أهل الكوفة ولم يزد عدد التابعين الذين عرفوا بالرواية من أهل البصرة على المائتين إلا قليلا، ولعل في ذلك ما يلقي ضوءا على درجة شيوع العلم وكثرة العلماء في المدينتين.

سادسا: مدرسة الحديث في الشام:

ذكر من نزل الشام من الصحابة:

أبو عبيدة بن الجراح وبلال بن رباح وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وسعد بن عبادة وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم والفضل بن العباس بن عبد المطلب وهو مدفون بالأردن وواثلة بن الأسقع وحبيب بن

مسلمة والضحاك بن قيس وغيرهم. ولما فتح المسلمون الشام، دخل كثير من أهلها في الإسلام،وقد اهتم الخلفاء بهذا القطر، فأرسلوا إليها الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه، الذي أخذ مكانة علمية فائقة، فهو مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وهو خليفته على أهل مكة، يعلمهم الحلال والحرام، وهو مبعوث عمر رضي الله عنه إلى الشام، ليفقههم في دين الله. روى ابن سعد في الطبقات عن أبي مسلم الخولاني قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلا، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا ساكت لا يتكلم، فإذا امترى القوم في شيء، أقبلوا عليه فسألوه فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل. ومن أشهر من قام بالتعليم في هذا القطر أيضا عبادة بن الصامت، الذي امتاز بجمع القرآن، وكان من أفقه الناس في الدين، شديدا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم. أنكر على معاوية كثيرا من أموره. ومنهم أبو الدرداء الأنصاري، وكان معدودا من فقهاء الصحابة، وحفاظ الحديث، وقد أرسلهما عمر مع معاذ إلى الشام، إجابة لطلب يزيد بن أبي سفيان، فإنه كتب إلى عمر بن الخطاب: قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم فأرسل معاذا وعبادة وأبا الدرداء. ذكر ذلك البخاري في تاريخه. كان هؤلاء هم حجر الزاوية في الحركة العلمية، ونشر السنة المحمدية في ربوع تلك البلاد. وقد أرسل عمر أيضا عبد الرحمن بن غنم للمهمة نفسها، وكان يقال له صاحب معاذ لكثرة ملازمته له، على أنه اختلف في صحبته.

وكثير من الصحابة غير هؤلاء إنتشروا في الشام هداة، ومعلمين منهم شرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس بن عبد المطلب. يروي الحاكم أنه مدفون بالأردن. وأبو مالك الأشعري وغيرهم كثير.

وقد تخرج على أيديهم كثير من التابعين في مدارس الشام، المختلفة منهم أبو إدريس الخولاني عائذ الله. وقبيصة بن ذؤيب، ومكحول بن أبي مسلم، ورجاء بن حيوة الكندي العالم، الثقة، الفاضل.

سابعا: مدرسة الحديث في مصر:

ذكر من نزل مصر من الصحابة:

عقبة بن عامر الجهني وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومحمية بن جزء و عبد الله بن الحارث بن جزء وغيرهم. وقد فتح المسلمون مصر، فدخل كثير من أهلها الإسلام، كذلك نزلها كثير من الصحابة، ينشرون أحكام الدين وتعاليمه، وأشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص، الذي كان من أكثر الصحابة، حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما امتاز عن غيره من سائر الصحابة، بكتابة ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. خرج عبد الله

مع أبيه عمرو بن العاص إلى مصر عند ما ولاه إياها معاوية، ولما توفي عمرو بقي ابنه عبد الله مقيما بمصر فكان يحج ويعتم، ثم يرجع إليها إلى أن توفي بها في بعض الأقوال.

وقد نزل كثير من الصحابة غير عبد الله بن عمرو مصر، وقاموا بمهمة التعليم وتفقه على أيديهم كثير من أهل البلاد، منهم عقبة بن عامر الجهني، وخارجة بن حذافة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومحمية بن جزء، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وأبو بصرة الغفاري، وأبو سعد الخير ومعاذ بن أنس الجهني، وغيرهم حتى لقد أفردهم محمد بن الربيع الجيزي بالتأليف، فبلغ عددهم مائة ونيفا وأربعين صحابيا، كما أورد أحاديثهم في تأليفه ذلك.

تخرج على هؤلاء الصحابة كثير من التابعين، منهم أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني، مفتي أهل مصر روي عن أبي أيوب الأنصاري، وأبي بصرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني. ومنهم يزيد بن أبي حبيب.

روي عن بعض الصحابة، وأكثر روايته عن التابعين، وهو بربري الأصل أبوه من أهل دنقلة ولكنه نشأ بمصر.

وقال النسائي في تسمية فقهاء الأمصار: (ومن فقهاء أهل مصر: – عمرو بن الحارث – والليث بن سعد وبعد هؤلاء): – عبد الرحمن بن القاسم – وأشهب بن عبد العزيز وقد ذكرناهما في أصحاب مالك بن أنس وبعد هؤلاء): – الحارث بن مسكين – ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

ثامنا: مدرسة الحديث في المغرب:قال محمد أبو زهو:"البلاد المغربية كان لها فضل مشكور على السنة في جميع العصور" .

قسم خليفة بن خياط في طبقات علماء المغرب إلى ثلاث طبقات، وذكر منهم: **–** عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي:روي عن أبي بكر وعمر، يكنى أبا عبد الله–وأبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني: مات سنة تسعين. – وأبو عبد الرحمن الجبلي، اسمه عبد الله بن يزيد. – عبد الله بن هبيرة السبائي: توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك. – وأبو تميم الجيشاني، اسمه عبد الله بن مالك: مات سنة تسع وتسعين. – وأبو فراس مولى عمرو بن العاص، اسمه يزيد بن رباح. – وأبو قيس، مولى عمرو بن العاص – وأبو عمران التجيبي، اسمه أسلم. – ومشرح بن هاعان: معافري، يكنى أبا مصعب. – وعبد الله بن مرة الزوفي. – وسويد بن قيس التجيبي. – وكثير الأعرج الصدفي. – و عبد الله بن زرير الغافقي: مات سنة ثلاث وثمانين. – وسهل بن معاذ بن أنس الجهني – وأبو رهم السماعي، اسمه أحزاب بن أسد. – وأبو وهب الجيشاني، اسمه الديلم بن الهوشع – و علي بن رباح. – وعمر، أبو الهيثم: كاتب عقبة بن عامر. – وعبد الله بن محيريز: جمحي من أنفسهم. مات زمن عمر بن عبد العزيز. – وزياد بن مسلم: غفاري. – وأبو غطيف: هذلي – وسلامان بن عامر: شعباني. – و عبد الرحمن بن نار: أسلمي.

– أبو عبد الرحمن: معافري. – وحيويل بن شراحيل: تجيبي شرعبي. وهؤلاء بعضهم من كبار التابعين وبعضهم من الوسطى من التابعين.

تاسعا: المدارس الحديثية الأخرى:

بعد أن نقل ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم قول الحافظ عبد القادر الرهاوي (ت 612 هـ) "ما رأيت بلدا بعد بغداد، أكثر حديثا من أصبهان ". قال عقبه: "وكان أئمة السنة علما وفقها، والعارفون بالحديث وسائر أمور الإسلام المحض، فيهم أكثر من غيرهم، حتى إنه قيل: إن قضاتهم كانوا من فقهاء الحديث، مثل: صالح بن أحمد بن حنبل، ومثل: أبي بكر بن أبي عاصم، ومن بعدهم، وأنا لا أعلم حالهم بأخرة" – يعني آخر الأمر في العصور التي تلت عصور التابعين.. وتأتي بقية مدن العراق بعد الكوفة والبصرة في النشاط العلمي خلال الفترة التي شملتها دراسة كل من خليفة بن خياط ومحمد بن سعد، ويلاحظ تأخر بناء مدينتي واسط وبغداد فلم ينزل فيها صحابي ولا تابعي بل نزح إليهما أتباع التابعين من الكوفة والبصرة (ابن حبان البستي: مشاهير علماء الأمصار، 176)، فكان ازدهار العلم ببغداد متأخرا عن دراسة خليفة وابن سعد لذلك لم تحظ بنصيب وافر في كتابيهما وقد أصبحت بغداد فيما بعد مدينة العلم وموسم العلماء حتى ذكرها ابن حبان في جملة المدن التي نزلها الصحابة تعصبا لها بعد أن ذكر أنها محدثة لم ينزلها أحد من الصحابة (المصدر السابق، 194). ولم تكن أهمية المشرق الإسلامي قد برزت في الرواية خلال القرنين الأولين للهجرة لذلك لم ينل عناية كبيرة عند خليفة بن خياط ولا عند محمد بن سعد وقد ازدهرت الرواية فيه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ومن ثم فقد اعتبرهما ابن حبان من الأقاليم "المشهورة في الإسلام المعروفة بعلماء الأيام" (المصدر السابق، 1–2). كذلك كان دور غرب العالم الإسلامي ثانويا في الرواية خلال القرنين الأولين إلا الشام فقد نزلها عدد كبير من الصحابة وتليها من حيث نشاط الرواية مصر أما الجزيرة والعواصم والثغور.. أما أيلة وأفريقية الأندلس فلم تبرز في هذه الفترة المبكرة فكان حظها في كتابي خليفة وابن سعد قليلا أيضا.

ذكر من نزل الجزيرة من الصحابة:عدي بن عميرة الكندي ووابصة بن معبد الأسدي وغيرهما معجم البلدان (2/ 134): والجزيرة: هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهما يقبلان من بلاد الروم وينحطان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة ثم يصبان في البحر، وطولها عند المنجمين سبع وثلاثون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف، وهي صحيحة الهواء جيدة الربع والنماء واسعة الخيرات، بها

مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، ومن أمهات مدنها حان والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وأمد ومافارقين والموصل وغير ذلك.

ذكر من نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها:

بريدة بن حصيب الأسلمي مدفون بمرو ، وأبو برزة الأسلمي ، والحكم بن عمرو الغفاري،

وعبد الله بن حازم السلمي" مدفون بنيسابور برستان جوين، وقثم بن العباس مدفون بسمرقند.

قال أبو عبد الله – الحاكم –: وأما مدينة السلام فإني لا أعلم صحابيا توفي بها إلا أن جماعة من التابعين وأتباع التابعين نزلوها وماتوا بها منهم هشام بن عروة بن الزبير ومحمد بن إسحاق بن يسار وشيبان بن عبد الرحمن النحوي وإبراهيم بن سعد الزهري، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون،... ولم أرد إخلاء هذا الموضع من ذكر مدينة السلام تعصبا لها إذ هي مدينة العلم وموسم العلماء والأفاضل عمرها الله .